الدولة الإسلامية

كشف الشبهات

للشيـخ محمد بن عبد الوهَّاب
(رحمه اللَّه)

للشيخ

محمد بن عبد الوهَّاب (رحمه اللّه)

المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ

الطبعة الأولى
مطابع الدَّولة الإسلاميَّة
ربيع الثَّاني ١٤٣٧هـ

مقدِّمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول اللَّـه، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمَّا بعد:

فإنَّ الشيخ محمدَ بنَ عبد الوهَّاب[1] ظهرَ في عصرٍ انتشرَ فيه شركُ القبور، وتفَشَّتْ فِيه البدعُ والـخُرافات، وخاصةً في الجزيرة العربية، التي كانت تموجُ آنذاكَ بتعظيمِ الأحجارِ والأشجار، والاستغاثةِ بالمقبورينَ والآثار، والذَّبحِ للسَّادة، والنَّذر للأولياء، وغيرِ ذلك من أنواعِ الشِّرك.

فحملَ الشيخُ أمانةَ البلاغ، وأدَّى واجبَ الدَّعوة، وتصدَّى لهذه الشركِيَّات والبدع، وحثَّ

(١) هو الإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهَّاب بن سليمان بن علي التميمي النَّجدي المولود سنة ١١١٥ هـ في بلدة العُيَـيْنة التي تقع الآن شمال الرِّياض، والمتوفى سنة ١٢٠٦ هـ (رحمهُ اللَّـهُ وأسكنه فسيحَ جنَّاته).

النَّاسَ على العودةِ إلى توحيد اللَّـه، وإخلاصِ العبادةِ له سبحانه، والتمسُّكِ بالكتاب والسُّنَّة... فدعا بقلمِه ولسانِه، وجاهدَ بسيفِهِ وسِنانِه.

ثمَّ شرحَ اللَّـهُ للشيخ قلوبَ العباد، وفتح له نجدَ وما قاربها من البلاد، والتفَّ حولَه طلابُ العلم وأقرانُه، وأيَّده الرَّاسخون من علماءِ زمانه، وسانده بعضُ أمراء القبائل والمناطق.

لكنْ؛ وكما هي سننُ اللَّـهِ في دعوةِ كلِّ مصلحٍ ومجدِّد؛ نابذَ الشيخَ الكثيرُ من النَّاس، وألَّبوا عليه، بل وقاتلوه، وفي مقدِّمتهم علماءُ سوءٍ ودُعاةُ ضلال، مِنْ الرَّافضة والصوفية وغيرهم، الَّذين ما انفكوا يطعنونَ بالشيخِ وأتباعِه، فزعموا أنَّهم يُكفِّرونَ المسلمين، ولا يحفظونَ قدْراً لمن ماتَ من الصالحين،

ويُنكرون شفاعة الشُّفعاء، ولا يؤمنون بكرامات الأولياء... إلخ.

واستمرَّ هؤلاءِ الطَّغام، يُـحذِّرون النَّاس من دعوة الشيخ الإمام، ويحرِّضونَ عليها الأمراءَ والحكَّام، ويبثُّون الشُّبَهَ حولها بين العوام[1].

(١) وما أشبهَ اليومَ بالبارحة! فها هي الدَّولةُ الإسلامية تعيدُ تجديد التوحيد والجهاد والسُّنَّة، وتقمع الشرك والإلحاد والبدعة، وها هم علماءُ السَّلاطين ودُعاةُ السوءِ في هذا الزمان، يَـحْذُونَ حذوَ أسلافِهم، فطعنوا بالدولة الإسلامية وأمرائها وجنودها، وبثُّوا الشبه والأباطيل حول عقيدتها ومنهجها، وحرَّضوا الطواغيتَ عليها، واستعانوا بالصليبيينَ لقتالها... وينسبون أنفسَهم زوراً للإمام محمد بن عبد الوهاب! وهم يعلمون حقَّ اليقين أنَّ الدولة الإسلامية ودعوتَها وجهادَها اليوم؛ امتدادٌ وتجسيدٌ لدعوة التوحيد والجهاد التي جاء بها رسول الله ﷺ وأصحابُه، وجدَّدها ابنُ عبد الوهَّاب وأحفادُه.

و[illegible] جاءُ كتابُ (**كَشْفُ الشُّبُـهَات**) الذي ردَّ فيه الشيخُ على شُبَهِ القُبوريـين، وفنَّد أقوالَهم، وبيَّنَ زَيفَهم[illegible] وفضحَ تدليسَهم؛ بأسلوبٍ علميٍّ رصين، وعرضٍ مُبسَّطٍ متين، يفهمه العامي، وينبهر به الذَّكي، فيه تلقينُ [illegible]ن، الرَّدَ على المجادلِ عن المشركين.

حتى غدا هذا الـمُصَنَّفُ من أهمِّ متونِ التوحيد، وانتشر في بلاد الإسلام انتشاراً كبيراً، وعَكَفَ على حِفظِه الطلاب، واعتنى بشرحه العلماء، واستفاد منه خَلقٌ عظيم، منذ زمانه وإلى هذا الزمان، فإنْ دلَّ ذلك على شيءٍ فإنَّه يدلُّ على صدق دعوة هذا الإمام المجدِّد، كما نحسبه ولا نزكيه على اللَّـه.

قال الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "صنَّفَ الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كشفَ الشبهات، وذكرَ الأدلة من

الكتاب والسنة على بطلان ما أورده أعداءُ اللَّـهِ ورسولِه من الشبهات، فأدحض حُجَجهم، وبيَّنَ تهافتَهم، وكان كتاباً عظيمَ النَّفع على صِغَر حجمه، جليلَ القدر، انقمعَ به أعداءُ اللَّـه، وانتفع به أولياءُ اللَّـه، فصار عَلَماً يقتدي به الموحِّدون، وسلسبيلاً يَرِدُه المهتدون، ومِنْ كوثره يشربون، وبه على أعداءِ اللَّـهِ يصولون، فلِلَّهِ ما أنفعَه من كتاب! وما أوضحَ حُجَجَه من خطاب!"[1].

وذلك ما دعانا لنشر هذه الرِّسالة المهمَّة، ضمن سلسلة رسائل التوحيد التي دأبتْ على نشرها مكتبةُ الهمَّة، إحياءً لتراث أئمة الدعوة النَّجدية (عليهم رحمة اللَّـه)، بعد أن قمنا بانتقاءِ أفضل النُّسخ

(١) الضياء الشارق في رد شبهات الماذِق المارِق، لسليمان بن سحمان.

المتوفرة من الرسالة، ومقابلتِها مع [illegible]دٍ من النُّسخ الأخرى، وتحقيقِها وتدقيقِها، وبيانِ بعض الأمور التي يحتاجها القارئ في هامشها.

ونسأل اللَّـه سبحانه أن يجعل لهذه الطبعة القبولَ والإفادة، ولمن عَمِل في إخراجِها ونشرِها الحسنى وزيادة، وأن يرحمَ الإمامَ [illegible] بنَ عبد الوهَّاب، ويُجزِل له الأجرَ والثواب.

قالَ الشَّيخُ محمَّد بنُ عبدِ الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

اعْلَمْ -رحمكَ اللَّه- أنَّ التوحيدَ هو إفرادُ اللَّهِ سبحانه بالعبادة، وهو دينُ الرُّسلِ الَّذينَ أرسلَهم اللَّهُ به إلى عبادِه.

فأولُهم نوحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أرسلَه اللَّهُ إلى قومِه لـمَّا غَلَوا في الصَّالحينَ (وَدٍّ وَسُوَاعٍ وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْر)، وآخرُ الرُّسل محمدٌ ﷺ، وهو الَّذي كَسَّرَ صورَ هؤلاءِ الصَّالحين.

أرسلَه اللَّهُ إلى قومٍ يتعبَّدونَ ويحُجُّونَ ويتصدَّقونَ ويذكرونَ اللَّهَ، ولكنَّهم يجعلونَ بعضَ المخلوقاتِ وسائطَ بينهم وبينَ اللَّه، يقولون: نريدُ منهم التقرُّبَ إلى اللَّه، ونريدُ

شفاعتَهم عنده؛ مثل: الملائكةِ وعيسى ومريمَ وأُناسٍ غيرِهم منَ الصَّالحين.

فبعثَ اللَّـهُ إليهم محمداً ﷺ يجدِّدُ لهم دينَ أبيهم إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويخبرُهم أنَّ هذا التقرُّبَ والاعتقادَ محضُ حقِّ اللَّـه، لا يَصلُحُ منه شيءٌ لغيرِ اللَّـه، لا لِـمَلَكٍ مقرَّبٍ ولا لنبيٍّ مُرسَلٍ، فضلاً عن غيرهما.

وإلَّا فهؤلاءِ المشركونَ مُقِرُّون، يشهدونَ أنَّ اللَّـهَ هو الخالقُ الرزاقُ، وحدَهُ لا شريكَ له، وأنَّه لا يَرزقُ إلَّا هو، ولا يُحيي إلَّا هو، ولا يُميتُ إلَّا هو، ولا يُدبِّرُ الأمرَ إلَّا هُو، وأنَّ جميعَ السَّمواتِ السبعِ ومَنْ فيهنَّ، والأرضينَ السبعِ ومَنْ فيها، كلُّهم عبيدُه، وتحتَ تصرُّفهِ وقهره.

فإذا أردتَّ الدَّليلَ على أنَّ هؤلاءِ المشركينَ الَّذينَ قاتلَهم رسولُ اللَّـهِ ﷺ يشهدون لِلَّـهِ هذه الشهادة؛ فاقرأ قولَه تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّـهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [يونس: ٣١]، وقولَه: {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّـهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّـهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ

لِلَّـهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} [المؤمنون: ٨٤-٨٩]

وغيرَ ذلك مِنَ الآيات.

فإذا تحقَّقتَ أنَّهم مُقِرُّونَ بهذا، ولم يُدْخِلْهم في التوحيد الَّذي دَعَتَ إليه الرُّسل، ودعاهم إليه رسولُ اللَّـهِ ﷺ، وعرفتَ أنَّ التوحيدَ الَّذي جحدوه هو توحيدُ العبادة الَّذي يسمِّيه المشركونَ في زماننا (الاعتقاد)، كما كانوا يدعون اللَّـهَ سبحانه ليلاً ونهاراً، ثمَّ منهم مَنْ يدعو الملائكةَ لأجلِ صلاحِهم وقُربِهم إلى اللَّـه، ليشفعوا له، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللَّات، أو نبيَّاً مثل عيسى، وعرفتَ أنَّ رسولَ اللَّـهِ ﷺ قاتلَهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادةِ لِلَّـهِ وحده، كما قال تعالى: {وَأَنَّ

الْـمَسَاجِدَ لِلَّـهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّـهِ أَحَداً} [الجن: ١٨]، وقال: {لَهُ دَعْوَةُ الْـحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ} [الرَّعد: ١٤]، وتحقّقتَ أنَّ رسولَ اللَّـهِ ﷺ قاتلَهم ليكونَ الدُّعاءُ كلُّه لِلَّـه، والنَّذرُ كلُّه لِلَّـه، والذَّبح كلُّه لِلَّـه، والاستغاثةُ كلُّها لِلَّـه، وجميعُ أنواعِ العباداتِ كلُّها لِلَّـه، وعرفتَ أنَّ إقرارَهم بتوحيدِ الرُّبوبية لم يُدخِلْهم في الإسلام، وأنَّ قصدَهم الملائكةَ أو الأنبياءَ أو الأولياءَ يريدون شفاعتَهم والتَّقرُّبَ إلى اللَّـهِ بذلك هو الَّذي أَحلَّ دماءَهم وأموالَهم؛ عرفتَ حينئذٍ التَّوحيدَ الَّذي دعتْ إليه الرُّسُل، وأبى عن الإقرارِ به المشركون.

وهذا التوحيدُ هو معنى قولك: (لا إله إلَّا اللَّـهُ)، فإنَّ الإلهَ عندهم هو الَّذي يُـقصَدُ لأجلِ هذه الأمور، سواءً كانَ مَلَكاً أو نبيَّاً أو وليَّاً أو شجرةً أو قبراً أو جِنِّـيَّاً؛ لم يُريدُوا أنَّ الإلهَ هو الخالقُ الرَّازقُ المدبِّر، فإنَّهم يعلمونَ أنَّ ذلكَ لِلَّـهِ وحدَه كما قدَّمتُ لك.

وإنَّما يعنُون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ (السَّيِّد).

فأتاهم النَّبيُّ ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد، وهي: (لا إله إلا اللَّـه)، والمرادُ مِنْ هذه الكلمة معناها، لا مجردُ لفظِها.

والكفَّارُ الجُـهَّال يعلمون: أنَّ مرادَ النَّبيِّ ﷺ بهذه الكلمة هو: إفرادُ اللَّـهِ تعالى بالتعلُّق به،

والكفرُ بما يُعبدُ مِنْ دونِ اللَّهِ والبراءةُ منه، فإنَّه لـمَّا قال لهم قولوا: لا إله إلَّا اللَّه؛ قالوا: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: ٥].

فإذا عرفتَ أنَّ جُهَّالَ الكفَّارِ يعرفونَ ذلك؛ فالعجبُ ممَّنْ يدَّعي الإسلام، وهو لا يعرفُ مِنْ تفسير هذه الكلمة ما عَرَفهُ جُهَّالُ الكفار!

بل يظنُّ أنَّ ذلك هو التَّلَفُّظُ بحروفها مِنْ غير اعتقادِ القلب لشيءٍ مِنَ المعاني!

والحاذقُ منهم يَظنُّ أنَّ معناها: لا يخلقُ ولا يرزق إلَّا اللَّه، ولا يدبِّر الأمرَ إلَّا اللَّهُ وحده.

فلا خيرَ في رَجلٍ، جُهَّالُ الكُفَّار أعلمُ منه بمعنى (لا إله إلا اللَّه).

إذا عرفتَ ما ذكرتُ لك معرفةَ قلبٍ، وعرفتَ الشركَ باللَّهِ الَّذي قالَ اللَّهُ فيه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النِّساء: ٤٨]، وعرفتَ دينَ اللَّهِ الَّذي أرسلَ به الرُّسلَ مِنْ أولهم إلى آخرهم، الَّذي لا يقبلُ اللَّهُ مِنْ أحدٍ سواه، وعرفتَ ما أصبحَ غالبُ الناسِ عليه مِنَ الجهل بهذا؛ أفادَكَ فائدتين:

الأُولى: الفرحُ بفضلِ اللَّهِ ورحمتِه، كما قال تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: ٥٨].

وأفادكَ أيضاً: الخوفَ العظيم! فإنَّك إذا عرفتَ أنَّ الإنسانَ يكفرُ بكلمةٍ يُخرِجُها مِنْ

لسانه، وقد يقولُها وهو جاهلٌ فلا يُعذرُ بالجهل، وقد يقولُها وهو يظنُّ أَنَّها تقرِّبهُ إلى اللَّـهِ تعالى، كما كان يفعلُ الكفارُ المشركون، خصوصاً إنْ ألهمكَ اللَّـهُ ما قصَّ عن قومِ موسى مع صلاحِهم وعلمِهم، أنَّهم أتوه قائلين: {اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} [الأعراف: ١٣٨]؛ فحينئذٍ يَعْظُمُ حِرصُكَ وخوفُكَ على ما يخلِّصُكَ مِنْ هذا وأمثالِه.

واعلمْ أنَّه سبحانه -مِنْ حكمته- لم يبعثْ نبياً بهذا التوحيد؛ إلَّا جعلَ له أعداء، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْـإِنْسِ وَالْـجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْـقَوْلِ غُرُوراً} [الأنعام: ١١٢].

وقد يكون لأعداءِ التوحيد علومٌ كثيرةٌ، وكتبٌ، وحُجَج، كما قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْـبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْـعِلْمِ} [غافر: ٨٣].

إذا عرفتَ ذلك، وعرفتَ أنَّ الطريقَ إلى اللَّـهِ لا بدَّ له مِنْ أعداءٍ قاعدينَ عليه، أهلِ فصاحةٍ وعلمٍ وحُجَج؛ فالواجبُ عليك: أنْ تتعلَّم مِنْ دينِ اللَّـهِ ما يصيرُ لك سلاحاً، تُقاتلُ به هؤلاءِ الشياطين، الَّذين قالَ إمامُهم ومُقَدَّمُهم لربِّكَ عزَّ وجلَّ: {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْـمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الأعراف: ١٦-١٧].

ولكنْ إذا أقبلتَ على اللَّـه، وأصغيتَ إلى حُجَجِهِ وبيِّناته؛ فلا تَخَفْ ولا تحزن، {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً} [النِّساء: ٧٦].

والعاميُّ مِنَ الموحِّدينَ يَغلِبُ ألفاً مِنْ علماءِ هؤلاءِ المشركين، كما قال اللَّـهُ تعالى: {وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْـغَالِبُونَ} [الصَّافات: ١٧٣]، فجندُ اللَّـهِ هم الغالبونَ بالحُجَّةِ واللِّسان، كما أنَّهم هم الغالبونَ بالسَّيفِ والسِّنان.

وإنَّما الخوفُ على الموحِّدِ الَّذي يسلكُ الطَّريقَ وليس معه سلاح!

وقد مَنَّ اللَّـهُ تعالى علينا بكتابهِ الَّذي جعلَه: {تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النَّحل: ٨٩]، فلا يأتي صاحبُ باطلٍ

بحجةٍ إلَّا وفي القرآن ما ينقُضُها ويُبيِّنُ بطلانَها، كما قال تعالى: {وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْـحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً} [الفرقان: ٣٣]، قال بعضُ المفسرين: "هذه الآية عامَّةٌ في كلِّ حُجَّةٍ يأتي بها أهلُ الباطلِ إلى يوم القيامة".

وأنَا أذكرُ لكَ أشياءَ مما ذكرَ اللَّـهُ في كتابهِ جواباً لكلامٍ احتجَّ به المشركونَ في زمانِنا علينا، فنقول:

جوابُ أهلِ الباطل مِنْ طريقين:

مُجمَل ومفصَّل.

أمَّا المجمل: فهو الأمرُ العظيم والفائدةُ الكبيرة لمن عَقَلَها، وذلك قولُه تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْـكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ

الْـكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْـفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّـهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْـعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْـأَلْـبَابِ} [آل عمران: ٧].

وقد صَحَّ عن رسولِ اللَّـهِ ﷺ أنَّه قال: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّـهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[1].

مثال ذلك: إذا قالَ لك بعضُ المشركين: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّـهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس: ٦٢]، وأنَّ الشَّفاعَةَ حق، وأنَّ الأنبياءَ لهم جاهٌ عند اللَّـه، أو ذكرَ كلاماً للنَّبيِّ ﷺ يستدلُ

---

(١) متفقٌ عليه.

به على شيءٍ مِنْ باطله، وأنت لا تفهمُ معنى الكلامِ الَّذي ذكره؛ فَجَاوبْه بقولك:

إنَّ اللَّـهَ ذكرَ لنا في كتابِه أنَّ الَّذينَ في قلوبهم زيغٌ يتركونَ الـمُحكَمَ ويَتَّبعونَ المتشابِه، وما ذكرتُه لك مِنْ أنَّ اللَّـهَ ذَكَرَ أنَّ المشركينَ يُقرُّون بالرُّبوبيَّة، وأنَّ كفرَهم بتعلُّقِهم على الملائكةِ والأنبياءِ والأولياءِ مع قولهم: {هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّـه} [يونس: ١٨]، هذا أمرٌ مُحكمٌ بيِّنٌ، لا يقدرُ أحدٌ أنْ يغيِّـرَ معناه.

وما ذكرتَ لي أيُّها المشركُ مِنَ القرآنِ أو كلامِ النَّبيِّ ﷺ لا أعرفُ معناه، ولكنْ أقطعُ أنَّ كلامَ اللَّـهِ لا يتناقض، وأنَّ كلامَ النَّبيِّ ﷺ لا يُخالفُ كلامَ اللَّـهِ عزَّ وجل.

وهذا جوابٌ سديدٌ، ولكنْ لا يفهمُه إلَّا مَنْ وفَّقَهُ اللَّـهُ تعالى، فلا تَسْتَهِنْ به، فإنَّه كما قال تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصِّلت: ٣٥].

وأما الجوابُ الـمُفصَّل، فإنَّ أعداءَ اللَّـهِ لهم اعتراضاتٌ كثيرةٌ على دينِ الرُّسل؛ يَصدُّونَ بها النَّاسَ عنه، منها قولُهم: نحن لا نشركُ باللَّـه، بل نشهدُ أنه لا يخلقُ ولا يرزقُ ولا ينفعُ ولا يضرُّ إلَّا اللَّـهُ وحدهُ لا شريكَ له، وأنَّ محمداً ﷺ لا يملكُ لنفسهِ نفعاً ولا ضَرًّا، فضلاً عن عبد

القادر[1] أو غيره؛ ولكنْ أنَا مذنب، والصَّالحونَ لهم جاهٌ عندَ اللَّـه، وأطلبُ مِنَ اللَّـهِ بهم.

---

(١) هو الشيخ أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله الحسني الحنبلي الجيلاني أو الجيلي، نسبةً إلى بلدة جِيلان أو گيلان (التي تقع شمال إيران حالياً)، التي ولد فيها عام ٤٧١ هـ، ثم وفد إلى بغداد سنة ٤٨٨ طالباً للعلم، قال عنه الإمام الذهبي: "الشَّيْخُ، الإِمَامُ، العَالِمُ، الزَّاهِدُ، العَارِفُ، القُدْوَةُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، عَلَمُ الأَوْلِيَاءِ، مُحْيِي الدِّينِ،..." [سِيَر أعلام النبلاء]، والشيخ الجيلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بريءٌ مما يفعله مشركو زماننا، مِنِ استغاثتهم به والنَّذر له والحلف به! كما أنه براءٌ مِنَ الطريقة الصوفية القبورية القادرية المعاصرة التي تنسبُ نفسَها إليه زوراً، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكذلك فقراء الشيطان الَّذين ينتسبون إلى الشيخ عبد القادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو منهم بريءٌ كبراءة علي بن أبي طالب مِنَ الرافضة" [الدُّرَرُ السَّنيَّة].

فجَاوِبْهُ بما تقدَّم، وهو: أنَّ الَّذين قاتلَهم رسولُ اللَّـهِ ﷺ مُقِرُّونَ بما ذكرتَ، ومُقِرُّونَ بأنَّ أوثانَهم لا تُدبِّرُ شيئاً، وإنَّما أرادوا الجاهَ والشَّفاعة، واقرأْ عليه ما ذكرَ اللَّـهُ في كتابه، ووضِّحْه.

فإنْ قال: هؤلاءِ الآياتُ نزلتْ فيمنْ يعبدُ الأصنام، كيف تجعلونَ الصَّالحينَ مثلَ الأصنام؟! أم كيف تجعلونَ الأنبياءَ أصناماً؟!؛ فجاوبه بما تقدَّم.

فإنَّه إذا أقرَّ أنَّ الكفَّارَ يشهدونَ بالرُّبوبيةِ كلِّها لِلَّـه، وأنَّهم ما أرادوا مِـمَّنْ قصدوا إلَّا الشَّفاعة، ولكنْ أرادَ أنْ يفرِّقَ بينَ فعلِهم وفعلِه بما ذكره؛ فاذكرْ له أنَّ الكفَّارَ منهم مَنْ يدعو الصَّالحينَ

والأصنام، ومنهم من يدعو الأولياءَ الَّذينَ قال اللَّـهُ فيهم: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْـوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} [الإسراء: ٥٧]، ويدعونَ عيسى ابنَ مريمَ وأُمَّهُ، وقد قال تعالى: {مَا الْـمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْـآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّـهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَاللَّـهُ هُوَ السَّمِيعُ الْـعَلِيمُ} [المائدة: ٧٥-٧٦].

واذكرْ له قولَه تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا

يَعْبُدُونَ الْـجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} [سبأ: ٤٠-٤١]، وقولَه تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّـه يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّـهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ} [المائدة: ١١٦].

فقُلْ له: أعرفتَ أنَّ اللَّـهَ كفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأصنام؟! وكَفَّرَ أيضاً مَنْ قَصَدَ الصَّالحين؟! وقاتلَهم رسولُ اللَّـهِ ﷺ؟!

فإنْ قالَ: الكفارُ يُريدونَ منهم، وأنا أشهدُ أنَّ اللَّـهَ هو النَّافعُ الضَّارُ الـمُدبِّر، لا أريدُ إلَّا منه، والصَّالحونَ ليسَ لهم منَ الأمرِ شيء، ولكنْ أقصدُهُم، أرجو مِنَ اللَّـهِ شفاعتَهم.

فالجوابُ: أنَّ هذا قولُ الكفارِ سواءً بسواءٍ، فاقرأْ عليه قولَه تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّـهِ زُلْفَى} [الزُّمَر: ٣]، وقولَه تعالى: {وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّـهِ} [يونس: ١٨].

واعلمْ: أنَّ هذهِ الشُّبهَ الثَّلاث، هي أكبرُ ما عندهم، فإذا عرفتَ أنَّ اللَّـهَ وضَّحَها في كتابه، وفهمتَها فَهماً جيِّداً؛ فما بعدها أَيسرُ منها.

فإنْ قال: أنا لا أعبدُ إلا اللَّـه، وهذا الالتجاءُ إلى الصَّالحينَ ودعاؤهم ليس بعبادة.

فَقُلْ له: أنتَ تُقرُّ أنَّ اللَّـهَ فرضَ عليكَ إخلاصَ العبادةِ لِلَّـه، وهو حقُّهُ عليك؟

فإذا قال: نعم.

فَقُلْ له: بَيِّنْ لِـي هذا الَّذي فرضه اللَّـهُ عليك، وهو إخلاصُ العبادةِ لِلَّـهِ وحدَه، وهو حقُّهُ عليك؛ فإنَّه لا يعرفُ العبادةَ، ولا أنواعَها!

فإنْ كانَ لا يعرفُ العبادةَ ولا أنواعَها؛ فبيِّنْها له بقولك: قالَ اللَّـهُ تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْـمُعْتَدِينَ} [الأعراف: ٥٥].

فإذا أَعلَمْتَه بهذا؛ فَقُلْ له: هل علمتَ أنَّ هذا عبادةٌ لِلَّـه؟

فلا بدَّ أنْ يقولَ لك: نعم، والدُّعاءُ مخُّ العبادة.

فقُلْ له: إذاً أقررتَ أنَّه عبادةٌ لِلَّـهِ ودعوتَ اللَّـهَ ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً، ثم دعوتَ في

تلك الحاجةِ نبيًّا أو غيرَه؛ هل أشركتَ في عبادةِ اللَّـهِ غيرَه؟

فلا بدَّ أنْ يقول: نعم.

فقُلْ له: فإذا عملتَ بقولِ اللَّـهِ تعالى: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر: ٣]، وأطعتَ اللَّـهَ ونحرتَ له، هل هذا عبادة؟

فلا بدَّ أنْ يقول: نعم.

فقُلْ له: فإذا نحرتَ لمخلوقٍ نبيٍّ أو جِنِّيٍّ أو غيرِهما، هل أشركتَ في هذه العبادةِ غيرَ اللَّـه؟

فلا بدَّ أنْ يُقرَّ ويقولَ: نعم.

وقُلْ له أيضاً: المشركونَ الَّذين نَزَلَ فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكةَ والصَّالحينَ واللَّاتَ وغيرَ ذلك؟

فلا بُدَّ أنْ يقولَ: نعم.

فقُلْ له: وهل كانت عبادتُهم إيَّاهم إلَّا في الدُّعاءِ والذَّبحِ والالْـتجاءِ ونحو ذلك؟!

وإلَّا فهم مقرُّونَ أنَّهم عبيدُه، وتحتَ قهره، وأنَّ اللَّـهَ هو الَّذي يُدبِّـرُ الأمر، ولكنْ دَعَوهم والتجأوا إليهم للجَاه والشَّفاعة، وهذا ظاهرٌ جداً.

فإنْ قال: أتُنكِرُ شفاعةَ رسولِ اللَّـهِ ﷺ وتبرأُ منها؟!

فقُلْ له: لا أُنكرها ولا أتبرَّأُ منها، بل هو ﷺ الشَّافعُ والـمُشَفَّع، وأرجو شفاعتَه، ولكنَّ الشَّفاعةَ كلَّها لِلَّـه، كما قال تعالى: {قُلْ لِلَّـهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً} [الزُّمر: ٤٤]، ولا تكونُ إلَّا من

بعد إذنِ اللَّـه، كما قال عزَّ وجلَّ: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة: ٢٥٥]، ولا يَشْفَعُ في أحدٍ إلَّا مِنْ بعدِ أنْ يأذنَ اللَّـهُ فيه، كما قال عزَّ وجل: {وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: ٢٨]، وهو لا يرضى إلَّا التَّوحيد، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْـإِسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} [آل عمران: ٨٥].

فإذا كانت الشَّفاعةُ كلُّها لِلَّـه، ولا تكونُ إلَّا بعدَ إذنه، ولا يَشْفَعُ النَّبيُّ ﷺ ولا غيرُه في أحدٍ حتى يأذنَ اللَّـهُ فيه، ولا يأذنُ إلَّا لأهلِ التوحيد؛ تبيَّنَ لك: أنَّ الشَّفاعةَ كلَّها لِلَّـه، وأنا أطلُبُها منه؛ فأقول: "اللَّـهمَّ لا تحرمني شفاعتَه، اللَّـهمَّ شفِّعهُ فِـيَّ"، وأمثالَ هذا.

فإنْ قال: النَّبيُّ ﷺ أُعطِيَ الشَّفاعةَ، وأنا أطلبُ منه ممَّا أعطاهُ اللَّـه؟

فالجوابُ: أنَّ اللَّـهَ أعطاه الشفاعة، ونهاك عن هذا، فقال تعالى: ﴿فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّـهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، فإذا كنتَ تدعو اللَّـهَ أنْ يُشفِّعَ نبيَّه فيك؛ فأطعه في قوله: ﴿فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّـهِ أَحَداً﴾.

وأيضاً فإنَّ الشَّفاعةَ أُعطيها غيرُ النَّبيِّ ﷺ، فصحَّ أنَّ الملائكةَ يشفعون، والأفراطَ(١)

---

(١) الأفراط: هم الأطفال الصِّغار الَّذين ماتوا قبل آبائهم، وقد روى البخاري في صحيحه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَا مِنَ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلَاثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّـهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ»، وقصد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالاستشهاد بهم: هل تصحُّ زيارةُ قبورِ هؤلاءِ الأطفالِ وطلبُ الشفاعةِ منهم؟!

يشفعون والأولياءَ يشفعون، أتقول: إنَّ اللَّـهَ أعطاهم الشَّفاعةَ، وأطلبُها منهم؟!

فإنْ قلتَ هذا رجعتَ إلى عبادةِ الصَّالحين، الَّتي ذكرَ اللَّـهُ في كتابه أنَّها الشِّركُ الَّذي لا يغفرُه!

وإنْ قلتَ: لا. بَطَلَ قولُكَ: "أعطاهُ اللَّـهُ الشَّفاعةَ، وأنا أطلبُ منه ممَّا أعطاهُ اللَّـه".

فإنْ قال: أنا لا أُشركُ باللَّـهِ شيئاً، حاشا وكلَّا! ولكنَّ الالتجاءَ إلى الصَّالحين ليس بشركٍ.

فَقُلْ له: إذا كنتَ تُقرُّ أنَّ اللَّـهَ حرَّمَ الشَّركَ أعظمَ مِنْ تحريم الزِّنا، وتقرُّ أنَّ اللَّـهَ لا يغفرُه، فما الَّذي حرَّمهُ اللَّـهُ وذكرَ أنَّه لا يغفرُه؟!

فإنَّه لا يدري!

فَقُلْ له: كيف تُبَرِّئُ نفسَك مِنَ الشرك، وأنت لا تعرِفُهُ؟!

أم كيف يُحرِّم اللَّـهُ عليك هذا، ويذكر أنَّه لا يغفره، ولا تسألُ عنه ولا تعرفه؟!

أَتَظُنُّ أنَّ اللَّـه يُحرِّمُهُ ولا يُبيِّنُهُ لَنَا؟!

فإنْ قال: الشِّركُ عبادةُ الأصنام، ونحن لا نعبدُ الأصنام.

فَقُلْ له: ما معنى عبادة الأصنام؟

أَتَظُنُّ أنَّهم كانوا يعتقدون أنَّ تلك الأخشاب والأحجار، تخلقُ وترزقُ وتدبِّرُ أمرَ مَنْ دعاها؟!

فهذا يكذِّبُه القُرآن، كما في قوله تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [يونس: ٣١].

وإنْ قال: هو مَنْ قصد خشبةً أو حجراً أو أبنيةً على قبرٍ أو غيرها، يدعون ذلك الصَّالح عندها، ويذبحون له، ويقولون: إنَّه يُقرِّبُنا إلى اللَّـهِ زُلفى، ويدفع عنَّا ببركته، ويُعطينا ببركته.

فَقُلْ: صدقتَ، وهذا فعلُكم عند الأحجارِ والأَبنيةِ الَّتي على القبورِ وغيرِها.

فهذا قد أقرَّ أنَّ فعلَهم هذا هو عِبادةُ الأَصنام؛ فهو المطلوب.

ويُقالُ له أيضاً: قولُك: "الشِّركُ عبادةُ الأَصنام"، هل مرادُك أنَّ الشِّركَ مخصوصٌ بهذا، وأنَّ الاعتمادَ على الصَّالحينَ ودعاءَهم لا يدخلُ في هذا؟ فهذا يَرُدُّهُ ما ذكرَ اللَّـهُ في كتابه مِنْ كفر مَنْ تَعَلَّقَ على الملائكة أو عيسى أو الصَّالحين.

فلا بدَّ أنْ يُقِرَّ لك: أنَّ مَنْ أشركَ في عبادةِ اللَّـهِ أحداً مِنَ الصَّالحينَ فهو الشِّركُ المذكورُ في القرآن.

وهذا هو المطلوب.

وسرُّ المسألة: أنَّه إذا قال: أنا لا أُشركُ باللَّـه؛ فَقُلْ له: وما الشِّركُ باللَّـه؟ فَسِّرهُ لي.

فإنْ قال: هو عبادة الأصنام؛ فَقُلْ له: وما معنى عبادةُ الأصنام؟ فسِّرها لي.

فإنْ قال: أنا لا أعبدُ إلَّا اللَّـهَ وحدَه، فَقُلْ: ما معنى عبادةُ اللَّـهِ وحدَه؟ فسِّرها لي.

فإنْ فسَّرها بما بيَّنه اللَّـهُ في القرآنِ فهو المطلوب، وإنْ لم يعرفه؛ فكيف يدَّعي شيئاً، وهو لا يعرفه؟!

وإنْ فسَّرَ ذلك بغير معناه؛ بيَّنتَ له الآياتِ الواضحاتِ في معنى الشرك باللَّه، وعبادةِ الأوثان، وأنَّه يفعلونه في هذا الزَّمان بعينه، وأنَّ عبادةَ اللَّهِ وحدَه لا شريك له، هي الَّتي يُنكرون علينا، ويصيحون علينا، كما صاح إخوانُهم حيث قالوا: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: ٥].

فإنْ قال: إنَّهم لا يُكَفَّرُونَ بدعاءِ الملائكةِ والأنبياء؛ وإنَّما كَفَروا لـمَّا قالوا: (الملائكةُ بناتُ اللَّه)، ونحن لم نقل: عبد القادر ابنُ اللَّه، ولا غيره ابنُ اللَّه!

فالجواب: إنَّ نسبةَ الولدِ إلى اللَّهِ تعالى، كُفرٌ مستقل؛ قال اللَّهُ تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّه أَحَدٌ ❋

اللَّـه الصَّمَدُ} [الإخلاص: ١-٢]، والأحد: الَّذي لا نظير له، والصمد: المقصود في الحوائج، فمَنْ جحد هذا؛ فقد كفر، ولو لم يجحدِ السُّورة، وقال اللَّـه تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّـه مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ} [المؤمنون: ٩١]، ففرَّق بين النَّوعين، وجعل كلاً منهما كفراً مستقلاً.

وقال تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّـهِ شُرَكَاءَ الْـجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنعام: ١٠٠]، ففرَّق بين الكُفرين.

والدليلُ على هذا أيضاً: أنَّ الَّذينَ كُفِّروا بدعاء اللَّات مع كونه رجلاً صالحاً، لم يجعلوه

ابنَ اللَّـه، والَّذين كُفِّروا بعبادة الجنِّ، لم يجعلوهم كذلك.

وكذلك العلماءُ أيضاً -في جميع المذاهب الأربعة- يذكرونَ في (باب حكم المرتد): "أنَّ المسلمَ إذا زعمَ أنَّ لِلَّـهِ ولداً فهو مرتد".

فيفرِّقون بين النَّوعين، وهذا في غاية الوضوح.

وإنْ قال: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّـهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس: ٦٤].

فَقُلْ: هذا هو الحقُّ، ولكنْ لا يُعبَدُون! ونحن لم نُنكِرْ إلَّا عبادتَهم مع اللَّـه، وإشراكَهم معه، وإلَّا فالواجبُ عليك حبُّهم، واتِّباعُهم، والإقرارُ بكرامتهم، ولا يجحدُ كراماتِ الأولياءِ إلَّا أهلُ

البدعِ والضَّلالات، ودينُ اللَّـهِ وَسَطٌ بين طرفينِ، وهُدىً بين ضَلالتينِ، وحقٌّ بين باطلينِ.

فإذا عرفتَ: أنَّ هذا الَّذي يسميه المشركونَ في زماننا (الاعتقاد) هو الشِّركُ الَّذي أنزلَ اللَّـهُ في القرآن، وقاتلَ رسولُ اللَّـهِ ﷺ النَّاسَ عليه؛ فاعلمْ أنَّ شركَ الأوَّلينَ أخفُّ مِنْ شركِ أهلِ زماننا بأمرين:

أحدهما: أنَّ الأوَّلينَ لا يُشركونَ ولا يَدْعُونَ الملائكةَ والأولياءَ والأوثانَ مع اللَّـهِ إلَّا في الرَّخاء، وأمَّا في الشِّدةِ فيُخلصونَ لله الدِّين، كما قال تعالى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} [الإسراء: ٦٧]،

وقوله: {قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّـهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّـهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ} [الأنعام: ٤٠-٤١]، وقوله: {وَإِذَا مَسَّ الْـإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ}، إلى قوله: {قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} [الزُّمر: ٨]، وقوله: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّـهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْـبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} [لقمان: ٣٢].

فَمَنْ فَهِمَ هذه المسألةَ الَّتي وضَّحها اللَّـهُ في كتابه، وهي: أنَّ المشركينَ الَّذينَ قاتلَهم رسولُ اللَّـهِ ﷺ يدعونَ اللَّـهَ ويدعون غيرَه في الرَّخاء،

وأمَّا في الضُّرِّ والشِّدَّةِ فلا يدعونَ إلَّا اللَّـهَ وحدَهُ لا شريكَ له، وينسَون ساداتِهم؛ تبيَّنَ له الفرقُ بين شركِ أهلِ زمانِنا، وشركِ الأوَّلين!

ولكنْ أينَ مَنْ يَفهَمُ قلبُه هذه المسألةَ فَهماً راسخاً؟! و[illegible].

والأمر الثَّاني: أنَّ الأوَّلينَ يدعونَ مع اللَّـهِ أُناساً مقرَّبينَ عندَ اللَّـه، إمَّا أنبياء، وإمَّا أولياء، وإمَّا ملائكة، أو يدعون أشجاراً أو أحجاراً مُطيعةً لِلَّـهِ وليست عاصيةً، وأهلُ زماننا يدعونَ معَ اللَّـهِ أُناساً مِنْ أفسقِ الناس، والَّذينَ يدعونهم هم الَّذين يحكون عنهم الفجور! مِنَ الزِّنا والسرقة وترك الصَّلاة، وغير ذلك.

والَّذي [illegible] في الصَّـالح أو الَّذي لا يَعـصي -مثل الخشب والحجر- أهونُ ممَّنْ يعتقدُ فيمن يشاهدُ فِسقَهُ وفسادَهُ ويشهدُ به!

إذا تحقَّقتَ أنَّ الَّذينَ قاتلَهم رسولُ اللَّـهِ ﷺ أصحُّ عُقولاً وأخفُّ شركاً مِنْ هؤلاء؛ فاعلمْ أنَّ لهؤلاءِ شبهةً يُوردونها على ما ذكرنا؛ وهي مِنْ أعظمِ شبهِهم؛ فاصغِ سمعَك لجوابها.

وهي أنَّهم يقولون: إنَّ الَّذينَ نَزَلَ فيهم القرآنُ لا يشهدونَ أنْ لا إله إلَّا اللَّـه، ويُكذِّبون الرَّسول ﷺ، ويُنكرون البعث، ويُكذِّبون القرآن، ويجعلونه سحراً؛ ونحن نشهد أنْ لا إله إلَّا اللَّـه، وأنَّ مُحمداً رسول اللَّـه ﷺ، ونُصدِّقُ

القرآن، ونؤمنُ بالبعث، ونُصلِّي ونصوم؛ فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟!

فالجواب: أنَّه لا خلافَ بين العلماءِ كلِّهم أنَّ الرَّجلَ إذا صدَّق رسولَ اللَّهِ ﷺ في شيءٍ وكذَّبه في شيءٍ؛ أنَّه كافرٌ لم يدخلْ في الإسلام.

وكذلك إذا آمنَ ببعضِ القرآنِ وجحدَ بعضَه، كمن أقرَّ بالتوحيدِ وجحدَ وجوبَ الصَّلاة، أو أقرَّ بالتَّوحيدِ والصَّلاةِ وجحدَ وجوبَ الزَّكاة، أو أقرَّ بهذا كلِّه وجحدَ الصَّوم، أو أقرَّ بهذا كلِّه وجحدَ الحج؛ ولـمَّا لم ينقدْ أناسٌ في زمنِ النَّبيِّ ﷺ للحَجِّ أنزل اللَّهُ في حقِّهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ

كَفَرَ فَإِنَّ اللَّـهَ غَنِيٌّ عَنِ الْـعَالَمِينَ} [آل عمران: ٩٧].

ومَنْ أقرَّ بهذا كلِّه وجحد البَعْثَ كفر بالإجماع، وحلَّ دمُه ومالُه، كما قال جلَّ جلاله: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّـهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّـهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً} [النِّساء: ١٥٠-١٥١].

فإذا كانَ اللَّـهُ قد صرَّحَ في كتابه أنَّ مَنْ آمنَ ببعضٍ وكفر ببعضٍ؛ فهو الكافرُ حقّاً، وأنَّهُ يستحق ما ذُكِر؛ زالتْ هذه الشُّبهة.

وهذه هي التي ذكرها بعضُ أهلِ الأحْسَاءِ في كتابه الَّذي أرسلَه إلينا[1].

ويُقالُ أيضاً: إذا كنتَ تُقرُّ أنَّ مَنْ صدَّقَ الرَّسولَ ﷺ في كلِّ شيءٍ، وجحدَ وجوبَ الصَّلاةِ؛ أنَّه كافرٌ حلالُ الدَّمِ والمالِ بالإِجماع، وكذلك إذا أقرَّ بكلِّ شيءٍ إلَّا البعث، وكذلك لو جحدَ وجوبَ صوم رمضان، وصدَّقَ بذلكَ كلِّه؛ لا تختلفُ المذاهبُ فيه، وقد نطقَ به القرآن، كما قدمنا.

---

(١) الأحساء: مدينة تقع شرق مكة والمدينة، وقد كان فيها في زمن الشيخ ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكثيرُ مِنَ الضُّلَّال المعاندين الملبِّسين على الناس دينهم، أمثال ابن فيروز وابن عفالق وغيرهما، وكان هؤلاء يراسلون الشيخَ بشبهٍ باطلة، فيفنِّد الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ شبههم، والكتاب المذكور هنا هو أحد هذه المراسلات.

فمعلومٌ أنَّ التوحيدَ هو أعظمُ فريضةٍ جاء بها النَّبيُّ محمدٌ ﷺ، وهو أعظمُ من الصَّلاةِ والزَّكاةِ والصَّومِ والحجِّ، فكيف إذا جحدَ الإنسانُ شيئاً مِنْ هذه الأمورِ كَفَرَ ولو عمل بكلِّ ما جاءَ به الرَّسول، وإذا جحدَ التوحيدَ الَّذي هو دينُ الرُّسلِ كُلِّهم لا يَكفر؟!

سبحانَ اللَّـهِ ما أعجبَ هذا الجهل!!

ويُقالُ أيضاً: هؤلاء أصحابُ رسولِ اللَّـهِ ﷺ، قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النَّبيِّ ﷺ، وهم يشهدون أنْ لا إله إلَّا اللَّـه، وأنَّ محمداً رسول اللَّـه، ويصلون، ويؤذنون.

فإنْ قال: إنَّهم يقولون: أنَّ مسيلمةَ نبيٌّ!

قلنا: هذا هو المطلوب؛ إذا كانَ مَنْ رفعَ رَجُلاً إلى رُتبةِ النَّبيِّ ﷺ كَفَرَ وحلَّ مالُهُ ودمُه، ولم تنفعْه الشهادتانِ ولا الصَّلاة؛ فكيف بمن رفعَ شمسان، أو يوسف[1]، أو صحابياً، أو نبيَّاً، إلى مرتبةِ جبَّار السَّموات والأرض؟!

سبحان اللَّـهِ ما أعظمَ شأنه! {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّـه عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الرُّوم: ٥٩].

---

(١) شمسان ويوسف وتاج: أسماءُ أُناسٍ كَفَرَةٍ طواغيت، فتاج مِنْ أهل الخَـرْج، وشمسان لا يبعد عن العارض، ويوسف كان في الكويت أو الأحساء، أما تاريخ وجودهم فهو قريب مِنْ عصر المصنف، فقد ذكرهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كثير مِنْ رسائله، لأنَّهم مِنْ أشهر الطواغيت التي يَعتقدُ فيها أهلُ نجد وما حولها، وكانوا يصرفون لهم شيئاً مِنَ العبادة، وينذرون لهم النذور، ويرجون بذلك ما يرجوه عُبَّادُ اللَّات والعزَّى [فتاوى محمد بن إبراهيم].

ويُقالُ أيضاً: الَّذينَ حرَّقَهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنَّار[1]، كلُّهم يَدَّعُون الإِسلام، وهم مِنْ أصحاب عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتعلَّموا العِلمَ مِنَ

---

(١) هذا الأثر رواه الإمام البخاري في صحيحه، والَّذين أحرقهم أميرُ المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هم الشيعة الرَّوافض، قال الإمام الآجري: "جاء ناسٌ مِنَ الشيعة إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقالوا: يا أمير المؤمنين أنت هو؟ قال: مَنْ هو؟ قالوا: هو. قال: ويلكم مَنْ أنا؟! قالوا: أنت ربُّنا؛ قال: ارجعوا وتوبوا، فأبوا، فضرب أعناقهم ثم خدَّ لهم في الأرض أُخدوداً، ثم قال: يا قنبر ائتني بحُزم الحطب، فأتاه بحزم، فأحرقهم بالنار، ثم قال: لما رأيتُ الأمرَ أمراً منكرا ... أوقدتُ ناري ودعوتُ قنبرا" [الشريعة]، ونقلَ الحافظُ ابن حجر كلاماً للإمام الإسْفراييني جاء فيه: "أَنَّ الَّذينَ أَحْرَقَهُمْ عَلِيٌّ طَائِفَة مِنْ الرَّوَافِض، اِدَّعَوْا فِيهِ الْإِلَهِيَّة، وَهُمْ السَّبَائِيَّة، وَكَانَ كَبِيرهمْ عَبْدُ اللَّـهِ بْن سَبأ يَهُودِيًّا ثُمَّ أَظْهَرَ الْإِسْلَام وَابْتَدَعَ هَذِهِ الْمَقَالَة" [فتح الباري شرح صحيح البخاري].

الصَّحابة، ولكنْ اعتقدوا في عليٍّ مثلَ الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما؛ فكيف أجمع الصَّحابة على قتلهم وكفرهم؟!

أَتَظُنُون أنَّ الصَّحابة يُكَفِّرونَ المسلمين؛ أم تظُنُونَ أنَّ الاعتقادَ في تاجٍ وأَمثالِه لا يَضُرُّ، والاعتقادَ في علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكَفِّر؟!

ويُقالُ أيضاً: بنو عُبَيـدٍ القَدَّاح[1]، الَّذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العبَّاس، كُلُّهم يشهدون بألسنتهم أنْ لا إله إلَّا اللَّـه، وأنَّ محمداً رسول اللَّـه، ويَدَّعون الإسلام، ويصلُّون

---

(١) بنو عبيد القداح: هم العُبيديون، نسبةً إلى (عُبيدِ اللَّـهِ بن ميمون القدَّاح) مؤسس دولتهم وأول رؤسائهم، والعبيديون – الَّذين يُسمُّون أنفسهم زوراً بالفاطميين ويزعمون نسبتهم إلى فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا– هم باطنيون يُظهرون التشيُّع والرَّفضَ ويُبطنون الإلحادَ والكفر المحض، امتدَّ حكمُهم منذ عام ٢٩٧ هـ، إلى أنْ أزالَ اللَّـهُ ملكَهم وطهَّر الأرضَ مِنْ رجسهم على أيدي الأَيُّوبيِّينَ بقيادة صلاح الدِّين رَحِمَهُ اللَّهُ عام ٥٦٤ هـ، وقد قيل في مدح فعل بني أيوب بالعبيديين:

أَبدتُم مَنْ بَنَى دولةَ الكُفر مِنْ... بَنِـي عُبيدٍ بمصرَ، إنَّ هذا هو الفضلُ
زنادقـةٌ شيعـيَّةٌ باطـنيَّةٌ... مجوسٌ، وما في الصـالحينَ لهم أصلُ
يُسـرُّونَ كُـفراً، يُظهرونَ تشيُّعاً... لِيسـتُروا سـابورَ عـمَّهمُ الجهلُ

الجمعة، والجماعة؛ فلَمَّا أظهروا مخالفة الشريعة في أشياءَ دون ما نحن فيه؛ أجمعَ جميعُ العلماءِ على كُفرهم وقتالهم، وأنَّ بلادَهم بلادُ حرب، وغزاهم المسلمون، حتى استنقذوا ما بأيديهم مِنْ بلدان المسلمين.

ويُقالُ أيضاً: إذا كان الأوَّلُونَ لم يكفُروا إلَّا لأنَّهم جَمعوا بين الشِّركِ، وتكذيبِ الرَّسولِ ﷺ والقرآن، وإنكارِ البعث، وغير ذلك، فما معنى البابُ الَّذي ذكرَه العلماءُ في كلِّ مذهب: (بابُ حُكْمِ الـمُرتد)، وهو المسلمُ الَّذي يكفُر بعد إسلامه؟!

ثم ذكروا أنواعاً كثيرة، كلُّ نوعٍ منها يُكفِّرُ ويُحِلُّ دَمَ الرَّجلِ ومالَه؛ حتَّى أنَّهم ذكروا أشياء

يسيرةً -عند مَنْ فعلها- مثل: كلمةٍ يذكرُها بلسانه دون قلبه، أو كلمةٍ يذكرُها على وجه الـمَزْحِ واللَّعب.

ويُقالُ أيضاً: الَّذين قالَ اللَّـهُ فيهم: {يَحْلِفُونَ بِاللَّـهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْـكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ} [التوبة: ٧٤]؛ أمَا سمعتَ أنَّ اللَّـهَ كفَّرهم بكلمةٍ مع كونهم في زمنِ رسولِ اللَّـهِ ﷺ، وهم يجاهدون معه، ويصلُّون معه، ويزكُّون، ويحجُّون، ويوحِّدون؟!

وكذلك الَّذين قالَ اللَّـهُ فيهم: {قُلْ أَبِاللَّـهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة: ٦٥-٦٦]، فهؤلاء الَّذين صرَّحَ اللَّـهُ فيهم أنَّهم كَفروا بعد إيمانهم،

وهم مع رسولِ اللَّـهِ ﷺ في غزوةِ تبوك، قالوا كلمةً ذكروا أنَّهم قالوها على وجه الـمَزْح!

فتأمَّلْ هذه الشبهة، وهي قولُهم: (تُكفِّرون مِنَ المسلمينَ أُناساً يشهدونَ أنْ لا إله إلَّا اللَّـه، ويُصلُّون، ويصومون)، ثمَّ تأمَّل جوابَها؛ فإنَّهُ مِنْ أنفع ما في هذه الأوراق.

ومِنَ الدَّليل على ذلك أيضاً: ما حكى اللَّـهُ عن بني إسرائيل مع إسلامِهم وعلمِهم وصلاحِهم، أنَّهم قالوا لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقولُ أُناسٍ مِنَ الصحابة: (اجعل لنا ذات أنواط)، فحلف النبي ﷺ أنَّ هذا نظيرُ قول بني إسرائيل (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة).

ولكنْ للمشركينَ شبهةٌ أخرى يُدْلُونَ بها عند هذه القصة، وهي أنَّهم يقولون: إنَّ بني إسرائيل لم يكفُروا بذلك، وكذلك الَّذين قالوا: للنَّبيِّ ﷺ: (اجعل لنا ذات أنواط)، لم يكفُروا.

الجواب: أنْ نقول: إنَّ بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، وكذلك الَّذين سألوا النَّبيَّ ﷺ لم يفعلوا، ولا خلاف في أنَّ بني إسرائيل لو فعلوا ذلك؛ لَكَفَروا، وكذلك لا خلاف في أنَّ الَّذين نهاهم النَّبيُّ ﷺ لو لم يُطيعوه، واتَّخذوا ذاتَ أنواطٍ بعد نهيه؛ لكفروا، وهذا هو المطلوب.

ولكنْ هذه القصة تفيدُ: أنَّ المسلمَ-بل العَالِـم- قد يقعُ في أنواعٍ مِنَ الشِّرك، وهو لا يدري عنها!

فتُفيدُ: التعلُّمَ والتحرُّزَ، ومعرفةَ أنَّ قولَ الجاهل: (التوحيدُ فهمناه)؛ أنَّ هذا مِنْ أكبرِ الجهلِ ومَكايدِ الشَّيطان.

وتفيدُ أيضاً: أنَّ المسلمَ المجتهدَ إذا تكلَّم بكلامِ كُفرٍ -وهو لا يدري- فَـنُـبِّـهَ على ذلك، فتابَ مِنْ ساعته؛ أنَّه لا يَكفُر، كما فعل بنو إسرائيل والَّذين سألوا النَّبيَّ ﷺ.

وتفيدُ أيضاً: أنَّه لو لم يكْفُر؛ فإنَّه يُغلَّظُ عليه الكلامُ تغليظاً شديداً، كما فعلَ رسولُ اللّـهِ ﷺ.

وللمشركينَ شبهةٌ أُخرى، يقولون: إنَّ النَّبيَّ ﷺ أنكرَ على أُسامةَ قتلَ مَنْ قال: لا إله إلَّا اللَّـه، وقال له: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَال لاَ إِلَهَ إِلَّا

اللَّـه؟!»[1]، وكذلك قولُه: «أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـه»[2]، وأحاديثُ أُخرى في الكفِّ عمَّن قالَها.

ومرادُ هؤلاءِ الجهلة: أنَّ مَن قالها لا يُكفَّر ولا يُقتل؛ ولو فعلَ ما فعل!

فيُقالُ لهؤلاء المشركين الـجُهَّال: معلومٌ أنَّ رسولَ اللَّـهِ ﷺ قاتلَ اليهودَ وسباهم، وهم يقولون: لا إله إلَّا اللَّـه، وأنَّ أصحابَ رسولِ اللَّـهِ ﷺ قاتلوا بَني حنيفة، وهم يشهدون أنْ لا إلهَ إلَّا اللَّـه، وأنَّ محمداً رسولُ اللَّـه، ويصلُّون،

---

(١) متفقٌ عليه.

(٢) متفقٌ عليه.

ويدَّعون الإِسلام، وكذلك الَّذين حرَّقهم علي بن أبي طالب بالنَّار.

وهؤلاء الجهلة مُقِرُّونَ أنَّ مَنْ أنكرَ البَعْثَ كَفَرَ وقُتِل، ولو قال لا إله إلَّا اللَّـه، وأنَّ مَنْ جحدَ شيئاً مِنْ أركان الإسلام كَفَرَ وقُتِل، ولو قالها؛ فكيف لا تنفعُه إذا جحد فَرعاً مِنَ الفروع، وتنفعُه إذا جحد التوحيد، الَّذي هو أساسُ دين الرُّسل، ورأسُه؟!

ولكنَّ أعداءَ اللَّـهِ ما فهموا معنى الأحاديث، ولن يفهموا.

فأمَّا حديث أسامة: فإنَّه قَتَلَ رجلاً ادَّعى الإسلامَ، بسبب أنَّه ظنَّ أنَّه ما ادَّعى الإسلامَ إلَّا خوفاً على دمِهِ وماله، والرَّجلُ إذا أظهرَ الإسلام

وجبَ الكفُّ عنه؛ حتَّى يتبيَّنَ [illegible] ما يخالفُ ذلك، وأنزلَ اللَّـهُ تعالى في ذلك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ فَتَبَيَّنُوا} [النِّساء: ٩٤] أي: فتـثبَّتوا.

فالآيةُ تدلُّ على أنَّه يجبُ الكفُّ عنهُ والتثبُّت؛ فإذا تبيَّنَ منه بعد ذلك ما يخالفُ الإسلامَ قُتِل؛ لقوله تعالى: {فَتَبَيَّنُوا}، ولو كان لا يُقتل إذا قالها، لم يكن للتثبُّت معنى.

وكذلك الحديثُ الآخر وأمثالُه، معناه ما ذكرناه: أنَّ من أظهرَ التوحيدَ والإسلامَ وجبَ الكفُّ عنه؛ إلَّا أنْ يتبيَّنَ منه ما يناقضُ ذلك، والدَّليلُ على هذا: أنَّ رسولَ اللَّـهِ ﷺ الَّذي قال: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إلهَ إلا اللَّـه»، وقال:

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـه»؛ هو الَّذي قال في الخوارج: «أينما لَقَيتُمُوهُم فاقْتُلُوهم»[1]، «لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَاد»[2]، مع كونهم مِنْ أكثرِ الناسِ عبادةً وتهليلاً وتسبيحاً، حتى أنَّ الصَّحابةَ يحقِرونَ صلاتَهم عندهم، وهم تعلَّموا العلم مِنَ الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلَّا اللَّـه، ولا كَثرة العبادة، ولا ادِّعاء الإسلام؛ لـمَّا ظهرَ منهم مخالفة الشريعة.

وكذلك ما ذكرناه مِنْ قتالِ اليهود، وقتالِ الصَّحابةِ بني حنيفة، وكذلك أرادَ النَّبيُّ ﷺ أنْ

---

(١) متفقٌ عليه.

(٢) متفقٌ عليه.

يغزو بني الـمُصْطَلِق لـمَّا أخبرَه رجلٌ أنَّهم منعوا الزَّكاة، حتى أنزلَ اللَّـهُ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} [الحجرات: ٦]، وكان الرَّجُلُ كاذباً عليهم.

وهذا يدلُّ على أنَّ مرادَ النَّبيِّ ﷺ في الأحاديث الَّتي احتجُّوا بها ما ذكرناه.

ولهم شبهةٌ أخرى، وهي: ما ذكرَ النَّبيُّ ﷺ: أنَّ الناسَ يومَ القيامةِ يستغيثونَ بآدم، ثمَّ بنوح، ثمَّ بإبراهيم، ثمَّ بموسى، ثمَّ بعيسى، فكلُّهم يعتذرون، حتى يَنتهوا إلى رسولِ اللَّـه ﷺ.

قالوا: فهذا يدلُّ على أنَّ الاستغاثةَ بغيرِ اللَّـهِ ليست شركاً!

والجواب أَنْ نقولَ: سبحانَ مَنْ طبعَ على قلوب أعدائه!

فإنَّ الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه، لا نُنكرها، كما قال تعالى في قصة موسى: {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} [القصص: ١٥]، وكما يستغيثُ الإنسانُ بأصحابهِ في الحرب أو غيره، في أشياءَ يقدرُ عليها المخلوق.

ونحن أنكرنا استغاثةَ العبادة، التي يفعلونها عند قبور الأولياءِ أو في غيبتهم، في الأشياءِ التي لا يقدر عليها إلَّا اللَّــه.

إذا تَبيَّنَ ذلك؛ فاستغاثتُهم بالأنبياءِ يوم القيامة، يريدون منهم أنْ يدعوا اللَّــهَ أنْ يُحاسبَ

الناس؛ حتى يستريحَ أهلُ الجنةِ مِنْ كَربِ الموقف، وهذا جائزٌ في الدنيا والآخرة، وذلك أنْ تأتي عند رجلٍ صالحٍ حيٍّ يجالسُك، ويسمعُ كلامَك، تقولُ له: ادعُ اللَّـهَ لي.

وكما كان أصحابُ رسولِ اللَّـهِ ﷺ يسألونَه ذلك في حياته، وأمَّا بعد موته؛ فحاشا وكلا أنَّهم سألوه ذلك عند قبره، بل أنكرَ السَّلفُ على مَنْ قصدَ دعاءَ اللَّـهِ عند قبره؛ فكيف بدعائه نفسِه!

ولهم شبهةٌ أخرى، وهي: قصة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لـمَّا أُلقي في النَّار، اعترضَ له جبريلُ في الهواء؛ فقال له: ألكَ حاجةٌ؟ فقال إبراهيمُ أمَّا إليكَ فلا.

فقالوا: فلو كانت الاستغاثةُ شركاً، لم يعرضها على إبراهيم!

فالجواب: أنَّ هذا مِنْ جنس الشبهة الأولى؛ فإنَّ جبريلَ عرضَ عليه أنَّ ينفعَه بأمرٍ يقدرُ عليه؛ فإنَّه كما قال اللَّـهُ فيه: {شَدِيدُ الْـقُوَى} [النَّجم: ٥]، فلو أذِنَ اللَّـهُ له أنْ يأخذَ نارَ إبراهيمَ وما حولها مِنَ الأرض والجبال، ويقلبها في المشرق أو المغرب؛ لَفَعَل، ولو أمرَهُ اللَّـهُ أنْ يضعَ إبراهيمَ في المشرق أو المغرب؛ لَفَعَل، ولو أمرَهُ اللَّـهُ أنْ يضعَ إبراهيمَ في مكانٍ بعيد عنهم؛ لَفَعَل، ولو أمره أنْ يرفعه إلى السَّماء؛ لَفَعَل.

وهذا كرجُلٍ غنيٍّ له مالٌ كثيرٌ، يَرى رجلاً محتاجا، فيَعرضُ عليه أنْ يُقرِضه، أو أنْ يَهَبَه

شيئاً يقضي به حاجته؛ فيأبى ذلك المحتاجُ أنْ يأخذ، ويصبرُ إلى أنْ يأتيهُ اللَّـهُ برزقٍ لا مِنَّـةَ فيه لأحد، فأينَ هذا مِنْ استغاثةِ العبادةِ والشرك؛ لو كانوا يفقهون؟!

ولْنختمِ الكلامَ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- بمسألةٍ عظيمةٍ مهمة، تُفهَم مما تقدَّم؛ ولكنْ نُفرِد لها الكلامَ؛ لِعِظَم شأنها، ولِكثرة الغَلط فيها، فنقول:

لا خلافَ أَنَّ التَّوحيد، لا بُدَّ أنْ يكونَ بالقلبِ واللِّسانِ والعمل، فإنْ اختلَّ شيءٌ مِنْ هذا؛ لم يكن الرَّجُلُ مُسلماً.

فإنْ عَرَفَ التوحيدَ ولم يعمل به؛ فَهو كافرٌ مرتدٌ مُعانِد، كَكُفر فرعونَ وإبليسَ وأمثالِهما.

وهذا يَغلطُ فيه كثيرٌ مِنَ الناس؛ يقولون: هذا حقٌّ، ونحن نفهمُ هذا، ونشهدُ أنَّه الحقُّ، ولكنَّا لا نَـقْدِرُ أنْ نفعله، ولا يجوزُ عندَ أهلِ بلدنا إلَّا مَنْ وافقهم، أو غير ذلك مِنَ الأعذار.

ولم يدرِ المسكينُ: أنَّ غالبَ أئمةِ الكفرِ يعرفونَ الحقَّ، ولم يتركوه إلَّا لشيءٍ مِنَ الأعذار، كما قال تعالى: {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّـهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [التوبة: ٩]، وغيرِ ذلك مِنَ الآيات، كقوله: {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} [البقرة: ١٤٦].

فإنْ عَمِل بالتوحيدِ عملاً ظاهراً، وهو لا يفهمه ولا يعتقدُه بقلبه؛ فهو منافق، وهو شرٌّ مِنَ الكافر الخالص، {إِنَّ الْـمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ

الْـأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} [النِّساء: ١٤٥].

وهذه المسألةُ مسألةٌ كبيرةٌ طويلة، تتبيَّنُ لك إذا تأمَّلتَها في أَلسِنَةِ النَّاس!

ترى مَنْ يعرفُ الحقَّ ويتركُ العملَ به؛ لخوفِ نقصِ دنيا أو جاه، أو مُداراةً لأحد، وترى مَنْ يعمل به ظاهراً، لا باطناً، فإذا سألتَه عمَّا يعتقدُه بقلبه؛ إذا هو لا يعرفُه!

ولكنْ عليك بفهم آيتينِ مِنْ كتابِ اللَّـه:

أولاهما: ما تقدَّم مِنْ قولِه تعالى: {لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة: ٦٦]، فإذا تحقَّقت أنَّ بعضَ الصحابةِ الَّذين غَزَوا الرُّومَ مع رسولِ اللَّـهِ ﷺ كفروا بسببِ كلمةٍ قالوها على وجهِ

اللَّعبِ والـمَزْحِ؛ تبيَّنَ لك: أنَّ الَّذي يتكلمُ بالكفرِ أو يعملُ به، خوفاً مِنْ نقصِ مالٍ أو جاهٍ، أو مداراةً لأحدٍ؛ أعظمُ مِمَّنْ يتكلمُ بكلمةٍ يمزح بها!

والآية الثانية: قولُه تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّـهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْـإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْـكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّـهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النَّحل: ١٠٦]، فَلم يَعْذرِ اللَّـهُ مِنْ هؤلاءِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ مع كونِ قلبِه مطمئناً بالإيمان، وأما غيرُ هذا؛ فقد كفر بعد إيمانه؛ سواءً فعلَه خوفاً، أو مداراةً أو مَشَحَّةً بوطنِهِ أو أهلِهِ أو عشيرتِهِ أو ماله، أو فَعلَه على

وجهِ المزح، أو لغير ذلك مِنَ الأغراض؛ إلَّا الـمُكرَه.

فالآيةُ تدلُّ على هذا مِنْ وجهين:

الأول: قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ}، فلم يستثنِ اللَّـهُ تعالى إلا الـمُكرَه، ومعلومٌ: أنَّ الإنسانَ لا يُكرَهُ إلا على الكلامِ أو الفعل، وأما عقيدةُ القلب، فلا يُكرَه عليها أحد.

والثاني: قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْـحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْـآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي الْـقَوْمَ الْـكَافِرِينَ} [النَّحل: ١٠٧]، فصرَّح أنَّ هذا الكفرَ والعذابَ لم يكنْ بسببِ الاعتقادِ، أو الجهلِ، أو البغضِ للدِّينِ، أو محبَّةِ الكفر؛ وإنَّما

سببُه: أنَّ له في ذلك حظَّـاً مِنْ حظوظ الدنيا؛ فآثره على الدِّين.

واللَّـهُ سبحانه وتعالى أعلم.

وصلَّى اللَّـهُ على نبينِّا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

***

انتهى كلام الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب
(رحمه اللَّـهُ وجزاه عن المسلمين خيرَ الجزاء)

هذا وكَشْفُ الشُّبُهاتِ أَلَّفَهْ ... إمامُ وقتِهِ الصَّحِيحُ المعْرِفةْ
محـمدُ بنُ عـابدِ الوهَّـابِ ... مجـدِّدُ الدِّيـنِ بلا ارتيـابِ
فَجَـا كِتاباً حَ[illegible] ... لكـنَّهُ فـي عِـلمِهِ كـبيرُ[1]

(١) من منظومة البراهين الموضِّحات لكشف الشبهات، للشيخ محمد الطيِّب الأنصاري التُنْبُكْتِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.